قانا بعد عامين

# قانا الأفئدة الجمر

عبد الكريم الناعم

قانا
كيفَ يليقُ الشِّعرُ؟
النّطقُ عقيمٌ في أثلامِ جراحكْ
وأنا لا أملكُ غيرَ بذاري هذا،
كلماتي
أُوقدُها من زيتِ القلبِ
وأسعى بينَ النبضِ وآنيَةِ
الخَمْرِ الرَّبّانّي لترقى
فيكونَ الشّعرُ الطّالعُ من أمداءِ
ولايَتِه وَرْداً
يَتسقَّطُ طَلَّ صَبَاحكْ
ونكونَ طيوراً، شعراءً،
زيتاً كَرَّمَهُ الكرّامُ فأَوْدَعَهُ
في مِصْبَاحكْ
والحُلُمُ الأكْبَرُ أنْ نَسمو بالكلماتِ
الخجلى... فَتُضاءَ بوقْفَتِها في
قاعةِ مَجْدِكَ شاهدَةً
أوْ تعلو أكثرَ... أكثرَ... فهيَ
الزَّغَبُ الواهنُ تحتَ جَناحكْ.

* * *

جاءَ بشيرٌ
لَمْ يُلْقِ قميصاً
نَثَرَ الأحْرُفَ:
قافٌ
ألفٌ
نُونٌ
ألفٌ

فَتدَفَّقَ نُورٌ دَمَوِيٌّ
وارتَعَشَ الحَجَرُ.

هَبَّتْ مِنْ رَقْدَتِها آياتٌ
وَتَرامَتْ سُوَرُ.

شَيءٌ يُشْبِهُ أنَّكَ تَخْرُجُ مِنْ
أعماقِ التُّرْبَةِ عُشباً بَرِّيّاً، أَلْوانا،
خِصْباً تُضْمِرُهُ سنواتٌ تأتي
ذاتَ زمانٍ،
أحلاماً كُبْرى اشتَعَلَتْ في أَرْوِقَةِ
الوَجَعِ الصّافي
ذاتَ رِهانٍ،
ميناءً يَلْقى رُبّانا،
داليةً تَتَلَقّى الكوزَ بنيسانا.

نَثَرَ الأحرفَ ثانيةً:
قـ...ـا نـ...ـا
ارتَعَشَ المُهْرُ وَمَدَّ صهيلاً من
أقصاهُ إلى أقصاهْ
يا وِلْدَاهْ.....

ـ «ماذا تَكتُبُ؟
عن قانا»؟!!

(كانَ عُقَابُ الروحِ يَمُدُّ المُطْلَقَ
في أمداءِ حناياهُ، ويَزقو)

ـ «ماذا تكتبُ»؟
(بَينَ الجيمين: «جَليلٌ» و«جَنوبٌ»
يَلْمَعُ بَرْقُ).

ـ «ماذا تكتُبُ»؟!
ـ أكتُبُ أنَّ الرأسَ المقطوعَ
لتلك الجُثَّة، تذكُرُها؟
هذا الرأسُ يجيء إذا انتَصَفَ اللّيلُ
وفارَ الحُزْنُ، يَصيحُ: «اسقوني»

أَفْصِدُ داليةً،
يمتلئُ الكوزُ،
يَطيرُ بعيداً،
أَنْدَهُ: «أينَ ذَهبْتَ»؟!
يَشيحُ بوجه مُنْكَسِرٍ
فَأُدقِّقُ فيما يَتَفَصَّدُ،
أَيُّ سرابٍ هذا؟
أيصيرُ النَّسغُ سرابا
ويَصيحُ: «اسقوني»
ويَلوحُ الحزنُ الغامر في عينيه
أكواباً، والنَّأيُ مآبا

أكتُبُ أنَّ الرجلَ الرّاكضَ عبر
شوارعِ «قانا» يحملُ شِلْواً، جَسَداً،
كانَ ابناً
يَصرُخُ ملءَ مرارته الكونيّة: «يا بَيِّي»!
هذا الرجلُ الموحَشُ في صَرْخَته
ما زالَ يجوبُ شوارعَنا
من أقصى النارِ إلى فاتحة الماءْ.

يَصرُخُ ملءَ تَشَقُّقِ حَلْقٍ تَرَكَ النَّبْرَةَ
عَالقَةً في كلاَّبِ المُطْلَقْ
فَتَدَلَّى بُومٌ أَشْعَلَ سلسلةَ الأصداءْ

يَصْرُخُ: «يا بيِّي»!
فَيَقومُ أبي من ليلِ القبرِ
لِيَفْتَحَ حنجرةً من غضبِ الوقتِ
النّافرِ يَصرُخُ: «ماذا بيدي»؟
ويَعودُ إلى القبر المنسيِّ
أَنيناً مُخْتَنِقَ الأَرجاءْ.

أَكْتُبُ أَنَّ يهوذا
في كلّ مكانٍ كانْ
شيطاناً يَهربُ من عُهْرِ
بذاءته الشَّيطانْ
في البيتِ الأبيضِ جداً
في أَمريكا
في كلِّ قنابلها
في الحقدِ (التلموديّ الأَزْرَقْ)
في صَمتِ العربِ الأَوَّابينَ
المندفعينَ كلاماً.. وكلاماً.. وكلاماً
حتّى نُفْلَقْ.

أَكتُبُ أَنَّ «حسينَ اللّه» أقامَ هنا
في هذي الأرضِ دقيقةَ أهلي
خَرَجوا بالأجسادِ عُراةً لملاقاة الطّاغوتْ
وَهْو، حسينُ اللّه، وكما يَعرِفُ مَن
مَنَحَتْهُ الأرضُ غوامضَ ما فيها
يَسكُنُ حيثُ تكونُ الحربَةُ مُشْرَعَةً
في وجهِ الوحشِ
ليدمِّرَ طغيانَ الظَّلَموتْ.

أكتُبُ أَنَّ يهوذا الأسخريوطيَّ النازيَّ
هنا في هذي الأرض لأَوَّلِ مرَّهْ
يَعْوي من أَلمٍ،
وبأنَّ الأمةَ من «أَكَّادَ» و«كنعان»
الى تحويلِ الماءِ لخَمْرٍ،
منْ «ياسينَ» إلى الزِّنّارِ النّاسف،
من أسئلة البحرِ مداداً حتّى صَوْتِ
صريرِ القَلَمِ المُضْمَرِ وَعْداً
في بالِ الشَّجْرَهْ،
أَنَّ الأمةَ في هذا الوادي،
وهْيَ مُصَدَّعَةٌ

بدمٍ تَتَنَبَّأُ
تَخْرُجُ
تَحمي البِذرَهْ.

أَكْتُبُ أَنَّ يسوعَ أَحالَ الماءَ إلى خمرٍ في قانا
وبأَنَّا الآنا
نرفعُ قَوْساً منْ ألَقِ الشّهداءِ
تَمُرُّ المُعجزةُ (الحمراءُ) صباحاً
تحتَ قناطرِه
فيفيضُ الوادي فرسانا
وبشائرَ تَحملُ صاعقَها
وعيوناً تَصْدَحُ في ظُلماتِ الزمنِ
القاني،
وتُراباً يَعرفُ خَطْوَ بنيهِ يعودونَ
صباحاً من قافيةِ الدّورياتِ
دواليَ من برْقٍ، ودِنانا.

أَكْتُبُ أَنَّ حجارةَ هذي الوديانِ،
وأعلى قِمَمٍ فيها،
الأَشْجارَ، / الناسَ، /
سَتَحْفظُ حتّى يومِ الفوزِ
بأنَّ جنوبَ الأرزِ الشّامخِ غَرْبُ دمشقْ
والقلبَ: السَّمْتْ،
وبأنَّ طيورَ النارِ / الشّهداءَ المكتنزينَ
بقَمْحِ المَوْتْ
آياتٌ يَفردُها دمُها
فاتحةً للصبحِ الآتي،
وبأَنّا منْ «آدونايَ» إلى ريحانةِ
صاحبِ «بَكّةَ»
من «ابراهيمَ» إلى الأطفالِ
الآتينَ براعمَ
ما زلنا
منْ دمنا
نَسقي شَجَرَ الحَقّ

* * *

يا «قانا»
حينَ وقفتُ على العتباتِ
اضطربَ العصفورُ اللاطي في أوردتي،
كيفَ يطيرُ؟!
وأيُّ جَنَاحٍ؟!
فَوَقَفْتُ
أُقَلِّبُ روحي بينَ الرَّهْبَةِ
والملكوتِ الباهرِ،
ماذا أكتُبُ؟
ماذا أَقْرأُ؟
أعلى ما نُبْدِعُهُ أَصْغرُ من تنهيدةِ
عُشْبَةِ زاويةٍ نائيةٍ
شَهِدَتْ ذاكَ القَصْفْ!
فبأيِّ جناحٍ يَعلو الحَرْفْ؟
ولأني الأعجزُ يا قانا
فَلتَقْبَلْ كُلَّ حواريكَ، / الشّهداءُ، /
النّاجونَ، / طيورُكَ، /
أقلامُ الأطفالِ الخُضْرِ
لِتَقْبَلْ وجعَ الرّوحِ الصّافي
فأَنَا لا أملِكُ سهماً آخَرْ.

وتَقَبَّلْ في هذا الوقتْ
يا ربَّ الآلامِ الكبرى
ما أبقتْهُ مجامرُ هذي الأمةِ فينا.
فَسنحتاجُ لآنيةٍ
ولِعُودِ ثقابٍ
كَيْ يَشتعلَ الوقتُ الضّائعُ بين
«قصورٍ» و«قصورٍ».

قانا، يا ربُّ، بخورُ العَصْرِ
ونَحنُ شُهودٌ
فامْنحنا أفئدةً واعيةً
لِنَكونَ مجامرْ.

**حمص (سوريا)**